الإنسان الـلاشـــيء

بسم الله الرحمن الرحيم

أعني باللاشيء ذلك الرجل الذي يتصفُ بالسلبية ودنو الهمة، ذلك الداء الخطير الذي أصاب الكثير من المسلمين وخاصة الشباب والفتيات، واللاشيئية هي "الغثائية".

روى أحمد وأبو داود عَنْ ثَوْبَانَ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ].

وهكذا تنتشر الغثائية واللاشيئية في مجتمعاتنا، فإن بحثت عن شبابنا كأمة إسلامية وجدتهم وللأسف على الأرصفة وفي الاستراحات وفي الرحلات وعلى المدرجات الرياضية وخلف الشاشات، وإذا بحثت عن فتياتنا ومهج قلوبنا فإذا بهن في الأسواق خلف الخرق والأقمشة، أو خلف سماعات الهاتف يمزقن الفضيلة، أو مع مجلات وروايات تنشر الرذيلة، أو أمام الشاشات والأفلام حتى أصبحن بلا هوية وبلا هدف وبلا مبدأ ولا عزيمة ولا همة، شهوات في شهوات، ولذات في لذات، وآهات وزفرات وحسرات، إلا ما رحم الله:

ومــا الـنفس إلا حيــث يجعلهــا الفتــى ... فــإن أطمعــت تاقــت وإلا تــسلتي

وكانــت علــى الآمــال نفــسي عزيــزة ... فلمــا رأت عزمــي علــى التــرك ولتــي

ألم يمل أولئك هذه الحياة؟ ألم يسألوا أنفسهم هب أننا حصلنا على كل ما نريد، ثم ماذا؟ ألم يسألوا أنفسهم هذا السؤال؟ ثم ماذا في النهاية؟ الموت والحساب والعذاب والقبر والصراط والنار.

إذا غــامرت فــي شــرفٍ مــروم ... فــلا تقنــع بمــا دون النجــوم

فطعــم المــوت فــي أمــر حقيــر ... كطعــم المــوت فــي أمــر عظــيم

ألم يأن لشبابنا ولفتياتنا أن يعلموا حقيقة الحياة، والغاية التي من أجلها خلقوا؟ ألم يأن للران أن ينقشع عن القلوب، قبل أن يجمدها هادم اللذات؟ "أعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها".

علــى قــدر أهــل العــزم تــأتي العــزائم ... وتــأتي علــى قــدر الكــرام المكــارم

وتعظــم فــي عــين الــصغير صــغارها ... وتــصغر فــي عــين العظــيم العظــائم

= أسباب كون الإنسان لاشيء:

أولاً: الخمول والكسل والرضاء بالدون مع القدرة على ما هو أحسن:

الرجل اللاشيء أو المرأة اللاشيء لا يكلف نفسه القيام بشيء، حتى في مصالحه الشخصية بل ربما في ضروريات حياته كالدراسة أو لوظيفة أو حتى بيته وطلباته، وهذه هي حالته مع العبادات والطاعات من قيام ليل وصلاة وتر ومن السنن الرواتب ومن صيام النفل وقراءة القرآن وغيرها من العبادات والنوافل،

بل أنظر لحاله مع الفرائض والتثاقل فيها حتى أصبحت حاله شبيهة بحال المنافقين:
١- قال تعالى عن المنافقين: "وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا"،
٢- وقال: "ولا يأتون الصلاة إلا كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون"،
٣- وفي الصحيحين عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: [اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ].

فإذا كان هذا حال المنافق مع نفسه، لا يهتم بقاياها المصيرية، فكيف اهتمامه بقضايا المسلمين؟ وكيف يحمل هم هذا الدين والدعوة إلى الله عز وجل؟
وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يردد هذا الدعاء علاجا لهذه الظاهرة.

ولم أرى في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

والله تعالى يربي المؤمنين على التطلع إلى أعلا المقامات:

فيقول سبحانه على لسانهم (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)
انظر (واجعلنا للمتقين إماما) لم يقل سبحانه واجعلنا من المتقين ولكنها تربية على الهمة العالية والعزيمة الصادقة (واجعلنا للمتقين إماما) إن الله عز وجل يريد منك أيها الأخ الحبيب، ويريد منك أيتها المسلمة أن تكون ذا همة عالية، لا أن تكون من المتقين فقط، بل أن تكون إماما للمتقين، وأن تكوني إمامة للمتقيات.

روى ابن حبان والحاكم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [الجنة مائة درجة، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس من أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس].
لماذا هذا الأمر؟ لأن المسلم صاحب مبدأ، وهو على الحق فإن عاش عاشَ عزيزا، وإن مات ماتَ شهيدا، والله معه مؤيدا وحافظا، والجنة مستقره وموعده.
إذا فهو يملك جميع المقومات لأن يكون سيدا على وجه هذه الأرض، لأن يكون إماما للمتقين، فما الذي يردك أيها الأخ الحبيب؟ ما الذي يردك وأنت على عزةٍ، حيا كنت أو ميتاً؟ هكذا يربي الله ، وهكذا يربي محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمته أن يسألوا الله الفردوس الأعلى.
إن أقصى همة أحدنا إذا ذكرت الجنة أن يسأل الله الجنة، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم يربي فينا التطلع إلى أعلا المقامات، وعدم الرضاء بالأمور الدنية، ولذلك (فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس).

ثانياً: عدم التطلع للجديد والتقيد بروتين الحياة:

من مظاهر الرجل اللاشيء التقيد بروتين الحياة وعدم التطلع للجديد، فيعتاد على نمط معين من الحياة درج عليه فتثقل عليه المشاركة، ويصعب عليه العمل وكلما حدث بأمر جاء الرد من سلبا، حتى أصبح المسكين لا قيمة له ولا ينظر إليه، ولا يسمع لكلمته، ربما مع سعة علمه وعلو مركزه.

وفي سنن أبي داود عن أبي مالك الأشجعي أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ فَتْحَهُ وَنَصْرَهُ وَنُورَهُ وَبَرَكَتَهُ وَهُدَاهُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ ثُمَّ إِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ].

رضي بالدون ورضي برتابة الحياة حتى ملها هو بنفسه، وأصبح يعيش في هامش الحياة لا معنى له. فكيف تريد من الآخرين أن يحترموك أو يستجيبوا لك أو حتى يسمعوا كلمتك مع ما أوتيت من علم ومع ما أوتيت من

مركز مرموق، فإن الناس ينظرون إلى علو همتك، وينظرون إلى صدق كلمتك وينظرون إلى عملك يا أيها الأخ الحبيب.

إن بعض الناس إذا مات لا يبكيه أهله ومدينته فقط، بل تبكيه الأمة بكاملها، لأن الأمة فقدته، لم يفقده أهله لوحدهم، ولم تفقده مدينته لوحدها، بل فقدته الأمة بكاملها، كل الأمة تبكي عليه، من أجل أي شيء هذا؟ لأن الرجل، كان رجلا ممتازا كان رجلا معطاء كان رجلا عاملا نشيطا.

وبعض الناس إذا مات بكاه أهله أياما، وربما قالوا في قرارة أنفسهم (الحمد لله الذي أراحنا منه) فهو كل عليهم، بل ربما ضاقت به نفسه الذي بين جنبيه بهمومها وغمومها وقلقها ومرضها ونفسيتها، نفسه ربما ضاقت عليه. لماذا؟ لأنه لا هم له إلا في شهواته وملذاته فضاقت عليه نفسه، وضاق به أهله، وضاق به أهل مدينته. كم من رجل وكم من امرأة يتعوذ الناس من شره ومن شرها؟

لعمـــــرك مــــا الرزيـــــة فقـــــد مــــال ... ولا شـــــــاة تمـــــــوت ولا بعيــــــــر

ولكــــــن الرزيـــــــة فقـــــد فــــــذ ... يمـــــوت بموتــــــه خلــــق كثيــــرُ

كيف يرضى مسلم عاقل أن يقتله روتين الحياة ورتابتها؟ كيف يرضى مسلم عاقل أن تذهب الأيام والليالي والشهور والسنون وهو على حاله بدون تطور ولا تقدم؟

اسأل نفسك كم عمرك، كم بلغت من العمر الآن؟ عشرون سنة، ثلاثون سنة، أربعون سنة؟ أسألك بالله هل أنت راضي عن نفسك أيها الحبيب؟ ماذا قدمت خلال هذه السنوات؟ هل أنت في تطور أم أنك مازلت على حالك، وعلى ما أنت فيه منذ سنوات طويلة؟ إن المسلم العاقل صاحب المبدأ، وصاحب اليقين لا يهدئ له بال ولا يقر له قرار حتى يقدم ما في وسعه، وحتى يتقدم، وحتى يكون غده أفضل من يومه.

وفي سنني أبي داود والترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ، كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا].

ثالثاً: الذنوب والاستجابة للنفس الأمارة بالسوء:

من مظاهر الرجل اللاشيء الاستجابة للنفس الأمارة، الاستجابة لشهواتها ولذاتها، بل وتمكينها قيادة العقل وتغييبه حتى لم يعد للنفس اللوامة مكانا، فمات الشعور بالذنب، ومات الشعور بالتقصير، لذلك ظن الكثير من المسلمين أنه على خير، بل ربما لم يرد على خاطره أنه مقصر، فبمجرد قيامه بأصول الدين وبمجرد محافظته على الصلوات، بل ربما والتزامه في الظاهر ظن في نفسه خيرا عظيما، ودب الرياء في نفسه فظن فيها خيرا كثيرا، ولكن ما حقيقة هذا الالتزام؟ وهل قبل الله منه أم لا؟ بل لماذا نسي مئات بل آلاف من الصغائر التي تجمعت عليه من الذنوب والمعاصي؟

روى أحمد عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ].

فالرجل اللاشيء أسير للمعاصي والذنوب، قيدته وكبلته، فإذا حدثته بالعمل والتحرك شكا لي ضعفه وكثرة ذنوبه، بل ربما ظن بعض الصالحين لكثرة ذنوبه بنفسه النفاق، حتى وإن تحرك وعمل قال أنا منافق، وهو ما زال على ذنوبه ومعاصيه، وهذه شبهة أحرقت علينا كثيرا من الطاقات والعقول والأفكار.

نرى كثيرا من الشباب صاحب معاصي وصاحب ذنوب، فإذا قلنا له أعمل، إذا قلنا له أكثر من النوافل، قال أنا أخشى أن أكون منافقا، لماذا؟ قال لأني آتي وأدخل المسجد وأصلي وأنا صاحب ذنوب ومعاصي كثيرة.

إذا فالحل في نظره أن يقعد عن العمل، الحل في نظره أن يبتعد عن الساحة وأن يبقى داخل قفص الشيطان وأوهامه مع الذنوب والمعاصي، وغفل هذا المسكين أن خير علاج لذنوب، وخير علاج للسيئات والتقصير هو

العمل والتوبة والاستغفار، فإن أبى فإني أخشى عليه الانحراف، فالنفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية.

رابعاً: صحبة ذوو العزائم الواهنة والهمم الدنيئة فتضيع الأوقات في الجلسات الفارغة:

فالإنسان سريع التأثر بمن حوله، ولهذا كان التوجيه النبوي (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)، والحديث عند الترمذي في كتاب الزهد، وأحمد في الأدب وحسنه الألباني.
أقول إن هذا من أهم أسباب السلبية ودنو الهمة حتى وإن كان أصحابك من الصالحين، لا تعجب نعم حتى وإن كان أصحابك من الصالحين ومن أهل الخير فما داموا أصحاب همم ضعيفة وعزائم واهنة ولا يهمهم إلا مصالحهم الشخصية، والأنس والضحك وقضاء الأوقات بدون فائدة فلا خير فيهم، بل إن صلاحهم حجة عليهم يوم أن يقفوا بين يدي الله عز وجل، فعلى العاقل أن لا يغتر بصحبة الصالحين تاركا عيوب نفسه، بل هذه حيلة نفسية يجب التنبه لها
من المظاهر أيضا كثرة الجلسات وضياع الأوقات وهذا من اخطر المظاهر التي ظهرت وانتشرت أخيرا، فإنك تبحث عن شبابنا ورجالنا وربما عن فتياتنا ونسائنا فتجدهم مساء كل يوم ربما في الاستراحات وعلى الأرصفة وعلى الشاطئ، وليس الخطر في الاجتماعات ذاتها، بل في كثرة الكلام دون عمل يفيد الأمة، وينفع الأجيال، وكثرة الجدال والمراء، هذا إن سلمت الجلسات من الغيبة والنميمة والجرح والثلب وتنقص الآخرين، وسلمت الجلسات من وسائل اللهو المحرم، وإلا فعندها فإن الطامة أعظم.
وإنك لتتألم أشد الألم وأنت تعلم أن في تلك الجلسات أعداد هائلة من أصحاب الطاقات والمواهب والعقول والأفكار يلتقون في الأسبوع مرة واحدة على الأقل، أي في السنة ما يقرب من ثمان وأربعين لقاء، واللقاء الواحد لا يقل عن خمس ساعات، بما يعادل ٢٤٠ ساعة، ربما تزيد أو تقل فما هي النتيجة؟ بماذا خرجوا بعد هذه الاجتماعات الطويلة؟ وماذا قدموا لأنفسهم؟ وماذا قدموا لعقيدتهم؟

روى أحمد وأبو داود والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً].

خامساً: التهرب من كل عمل جاد:

التهرب من كل عمل جدي، وعدم الاستعداد للالتزام بأي شيء، خداع النفس بالانشغال وهو فارغ، كم من الناس إذا كلف بأمر قال أنا مشغول، وحقيقة أمره أنه غير مشغول، أو أنه مشغول بمثل تلك الجلسات ومثل تلك اللقاءات. أو الانشغال في شهوات النفس وملذاتها، أو التسويف والتأجيل وتأخير الأعمال والغفلة والنسيان المستمر لما كلف به، والأخطر من هذا كله النقد المستمر لكل عمل إيجابي، وتضخيم الأخطاء، كل ذلك تبرير لعجزه وسلبيته القاتلة.
بعض الناس لا يعمل، ويا ليته لا يعمل فقط بل جعل نفسه راصدا لأعمال إخوانه مرة بالنقد، ومرة بالجرح ومرة بالتثبيط والتخذيل والتنصل من المشاركة والعمل، فكلما طلبناه في مكان، قال لنا مشغول، وكلما كلفناه في مشاركة قال لا أستطيع، بل كلما حدثناه بأمر كان لنا مهبطا ومخذلا.
إذا فلكل شيء سبب، فإذا أردت أن تجعل نفسك في مكانها فلتتخذ ما ترضاه أنت لها.

ويحكي الله تعالى الحوار الذي دار بين المنافقين والمؤمنين لما حضرت معركة الأحزاب:

١. **تصرف المنافقين تصرف المنهار عصبياً**: "فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا" (الأحزاب:١٩)

٢. **وهم لا يفعلون شيئاً نافعاً لمجتمعهم:** "قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا. أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ" (الأحزاب:١٨-١٩)

٣. **وكانوا يودون لو أنهم في الأعراب يتفسحون وينامون ويؤززون اللب:** "يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا" (الأحزاب:٢٠)

٤. **وماذا كان تصرف المؤمنين؟** "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا. وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا. مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" (الأحزاب:٢٣)

٥. **وماذا كانت العاقبة والنتيجة النهائية والفصل الأخير في هذه القصة؟** "وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا. وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا. وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا" (الأحزاب:٢٥-٢٧)

سادساً: عقدة المستحيل وعدم الثقة في النفس:

فمن مظاهر الرجل اللاشيء أو المرأة اللاشيء عقدة المستحيل ولا أستطيع ولا اقدر مظهر من مظاهر السلبية ودنو الهمة، كم من المرات نضع بأنفسنا العقبات والعراقيل أمام كثير من مشاريعنا؟ نحن بأنفسنا نصنع العقبات ونصنع العراقيل، والواقع يشهد بهذا، فلماذا عذر المستحيل وعذر عدم الاستطاعة وعد القدرة هي الورقة التي نلوح بها دائما؟ فنغلق بأيدينا الأبواب في وجوهنا،

لو فكرنا وحاولنا لوجدنا أن كثيرا من العقبات والعراقيل التي تقف أمامنا إنما هي عراقيل وعقبات وهمية، وما هي إلا حيل نفسية، فكر جيدا وأرجع لنفسك وحاسبها وستجد أننا بأنفسنا نعيق أنفسنا عن العمل، فكل أمر بمقدور البشر أن يفعله لا يمكن أبدا أن يكون مستحيلا.

كل أمر بمقدورك أنت أيها الإنسان أن تفعله لا يمكن أن يكون مستحيلا أبدا

سئل نابليون: كيف استطعت أن تولد الثقة في أفراد جيشك؟ فأجاب: كنت أرد بثلاث على ثلاث، من قال لا اقدر قلت له حاول، ومن قال لا أعرف، قلت له تعلم، ومن قال مستحيل، قلت له جرب.

هكذا إذا، فأقول لك لا تيئس، اجعل هذه الكلمة شعارا لك لكل عمل تقوم به، فلكل مجتهد نصيب، وإن من أدمن قرع الباب ولج.

هذا السبب جعل كثيرا من الناس سلبيا، وجعل كثيرا من الناس صفرا، فهو لا يدري من يرضي ولا يدري من يتبع، ولقلة علمه وضعفه أصبح الريشة في مهب الريح، تؤثر فيه الأقوال المزخرفة، وأقوال لمثل هذا وأشكاله إن منهج أهل السنة والجماعة وهدي السلف الصالح رضوان الله عليهم، واضح بيّن لا غموض فيه ولا تزلف لأحد، يشع في النفس راحة واطمئنانا، والالتزام به عامل مؤثر في الاستقرار والاستمرار، فعض عليه بالنواجذ، وانبذ أهل الهوى وجرح الناس ولمزهم، وعليك بالعمل الجاد، عليك بالعمل فإنه خير دليل على سلامة المنهج.

فإن الله يطالبنا بالعمل وليس بالجدال والمراء وتتبع الزلات والأخطاء، فأثبت بارك الله فيك، واترك التردد والحيرة.

قال صلى الله عليه وسلم: (اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد)، فإذا حصل الثبات أولا والعزيمة ثانيا أفلح كل الفلاح،

وقال تعالى: (فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين). إياك والتردد، فإذا عزمت على أمر فتوكل على الله:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة....... فإن فساد الرأي أن تترددا

سابعاً: المعوقون، محترفو التثبيط والتيئيس للآخرين:

فإن الرجل اللاشيء لا يكتفي كما أسلفت بعدم المشاركة، بل أصبح قاطع طريق وعونا للشيطان وحزبه، فتجده لا يكتفي بخلق الأعذار والأسباب لنفسه، وليس لديه الشجاعة للاعتراف بالخطاء والتقصير، وليس لديه الاستعداد للعمل والمشاركة، ولكنه على أتم الاستعداد للنقد والتجريح، والثلب والتقبيح.

(من كان يؤمن بالله واليوم الأخر، فليقل خيرا أو ليصمت).

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا. وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا" (الأحزاب:٩-١٣)

وإن المثبط لإخوانه يبوء بإثمه وإثم الآخرين، واذكّر هنا بقول الحق عز وجل (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة، ومن أوزار الذين يظلونهم بغير علم، آلا ساء ما يزرون) فلينتبه وليحذر أولئك النفر.

ثامناً: عدم وضوح الهدف والغاية:

قال تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون".
والعبادة التي يريدها الله عز وجل هي العبادة بمفهومها الشامل، العبادة بمفهومها الكامل، العبادة التي عرفها أهل العلم يوم أن قالوا " أسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة "، هكذا يريد الله عز وجل أن تكون العبودية، يوم أن تكون العبودية في كل شأن من شؤون حياتك أيها المسلم.
تكون العبودية لله في مسجدك، وفي بيتك، وفي وظيفتك، وفي شارعك، وفي تجارتك، وفي كل مكان (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)
هكذا هي العبودية، هذا هو الهدف الذي من أجله خلقنا، وهكذا يريده الله عز وجل.
وعندها يعلم الإنسان أن كل حركة وكل سكنه وكل نفس، كل شيء يعمله يؤجر عليه إن أخلص النية لله فيه وهو عبادة لله عز وجل:

١- حتى وأنت تجامع زوجتك، وأنت تجامع أهلك، ألم يقال صلى الله عليه وسلم (وفي بضع أحدكم صدقة).
٢- حتى وأنت تمارس الرياضة، ألم يقل صلى الله عليه وسلم (وإن لجسمك عليك حق)؟
٣- حتى وأنت تخرج مع إخوانك وأصدقائك، تخرج معهم للجلسات والاستراحات، فإنه لإدخال الراحة والاستجمام والانبساط إليهم، فقد قال صلى الله عليه وسلم (تبسمك في وجه أخيك صدقة).

المهم أخلص النية في ذلك لله عز وجل، وأحتسب ذلك عند الله سبحانه وتعالى، المهم أن يكون ذلك العمل مرضي لله عز وجل، أن يكون الله سبحانه وتعالى راضي عن هذا العمل، إذا بعد ذلك أعمل ما شئت، وقل ما شئت بهذين الشرطين.

وانظر إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف فهموا مغزى الحياة؟

١- **هذا حرام ابن ملحان:** [أرسله النبي صلى الله عليه وسلم مع القرّاء إلى قبيلة من قبائل مشركي قريش، فكان يعرض عليهم رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويبلغهم الرسالة، فأشاروا إلى رجل منهم أن اطعنه من خلفه فطعنه بالرمح من ظهره حتى أنفذه من صدره، فإذا بحرام رضي الله عنه وأرضاه يلتفت إلى القاتل ويقول الله أكبر، الله أكبر، فزت ورب الكعبة، فزت ورب الكعبة]. سبحان الله يا حرام إنك تغادر الدنيا وشهواتها، تغادر الزوجة والأطفال، فأي فوز هذا الذي فزت فيه؟ ولكنه يعلم رضي الله تعالى عنه لماذا يعيش، إن أسمى أمانيه أن يموت في سبيل الله، وإن أعظم أمانيه أن يصيبه أمرا في

سبيل الله، إنه يقرأ في سبيل الله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون).

٢- وهذا **خبيب ابن عدي**: يوم أن كان مصلوبا على جذع وكان المشركون يقول له (أترضى يا خبيب أن يكون رسول الله في مكانك الآن؟) فماذا قال رضي الله عنه؟ قال (والله لا أرضى أن يكون محمدا بين أهله الآن تصيبه شوكه) ثم قال أبياتاً، منها:

ولست أبالي حين أقتل مسلما......على أي جنب كان في الله مصرعي

تاسعاً: الزهد في الأجر:

أي الغفلة عن أهمية الحسنة الواحدة، وهذا لا شك نتاج الغفلة عن الموت ونسيان الآخرة، وإلا فالمؤمن مجز على مثقال الذرة، إن المؤمن مجازا على مثقال الذرة، كما انه محاسب عليه أيضا (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).

إن قلب المؤمن والمؤمنة ذلك القلب الحي يرتعش لمثقال ذرة من خير أو شر، وفي الأرض قلوب لا تتحرك من الذنوب والمعاصي والعياذ بالله.

قال تعالى: "إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا. إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا. فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا. وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا" (الإنسان:٩-١٢)

اسأل نفسك: لماذا نعمل؟ ولماذا نتحرك؟ لماذا نحبس أنفسنا عن الشهوات مع أن الله عز وجل قد جبل هذه النفس على الشهوات وحبها؟ فلماذا إذا نحرمها من الشهوات؟ لماذا نحرم أنفسنا من الجلسات؟ لماذا نجاهد أنفسنا؟ لماذا تبح أصواتنا؟ لماذا نصرف أموالنا؟ لماذا نغض أبصارنا؟ لماذا نحفظ أسماعنا عن سماع الحرام والغناء وغيره؟ لماذا نمسك اللسان عن الكلام؟ لماذا نطعم الطعام؟ ولماذا نكثر الخيرات، ونكثر السلام؟ لماذا نحرص على القيام والصيام؟ لماذا كل هذا؟ الإجابة واحدة قول الحق عز وجل (إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا).

يظن أصحاب الشهوات والمعاصي أنه ليس في أنفسنا توقا ولا شوقا إلى هذه الشهوات، بل والله إن في أنفس الصالحين شوقا إلى كثير من الشهوات، أيا كانت هذه الشهوات، شهوة المال، شهوة الفرج، أو شهوة البطن أو غيرها من الشهوات، لكن ما الذي يردنا وما الذي يمنعنا؟، إنه خوف الله عز وجل، (إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا)

علنا أن نسمع النتيجة بفرح وسرور يوم أن يقول الحق عز وجل: (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نظرة وسرورا، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا، متكئين فيها على الأرائك، لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا، ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا، ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا، قواريرا من فضة قدروها تقديرا، ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا، عينا فيها تسمى سلسبيلا، ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا، وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملاكا كبيرا، عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا، إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا)، جزاء على ما صبرتم، جزاء على ما حبستم النفس عن شهواتها، جزاء على ما تكلمتم ونصحتم وأنكرتم وأمرتم، جزاء على ما بذلتم من أموالكم وفعلتم وتقدمتم وتحركتم، جزاء على كل خير كان كلمة أو فعلا، جزاء على كل شيء قدمتموه في هذه الدنيا، (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا).

عاشراً: الخوف من الأوهام:

فالخوف أكل قلب الرجل اللاشيء، أكل قلوب الكثيرين وهم أحياء، نعم فهم يرون ما يجري لبعض الدعاة، ولأجل تعطلت الأعمال بزعمهم وتوقفت الدعوة، فهو يخاف على نفسه تارة، وعلى ولده وعلى عمله، وربما ظن أن كل الناس يراقبونه ويلاحقونه وهكذا تستمر الأوهام والتخيلات حتى وقع فريسة لها وقعد عن العمل، ونحن نقول نعم إن طريق الدعوة إلى الله مليء بالعقبات والأشواك، ولولا والله هذه العقبات وهذه المعوقات

لشككنا في طريقنا، ولكن أن نعطل أعمالنا ونحسب كل صيحة علينا ونغلق كل الأبواب حتى وإن كانت مفتوحةً مفتوحة فلا، بل هي والله وسوسة شيطان:

١- قال تعالى: (إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه، فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين).
٢- وقال: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)،
٣- أخرج النسائي في كتاب الجنائز من حديث شداد ابن الهاد (أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمن به واتبعه، ثم قال أهاجر معك فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبيا فقسم وقسم له، فأعطى النبي أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهره، فلما جاء دفعوه إليه فقال، ما هذا؟ قالوا قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذه فجاء به إلي النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما هذا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم قسمته لك، فال الأعرابي ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا بسهم وأشار إلى حلقه فأموت فأدخل الجنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن تصدق الله يصدقك، فلبثوا قليلا ثم نهضوا لقتال العدو، فأتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم، أهوَ هو؟ قالوا نعم، قال صدق الله فصدقه، ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبته، ثم قدمه فصلى عليه، فكان في ما ظهر من صلاته -أي في دعائه- اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا، أنا شهيد على ذلك) والحديث صحيح عند الألباني. الله أكبر هكذا كانوا يطلبون الموت رضي الله عنهم. فرحم الله أصحاب تلك الهمم العالية يوم أن كانوا يطلبون الموت ويبحثون عنه في كل ساحة.
٤- بنات عاصم بن علي: وهو أحد شيوخ الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنهما وأرضاهما، ومن أقران شعبة ابن الحجاج، وكيف صب في محنة الإمام احمد، كتبت إليه بناته لتثبيته على الحق، قلن: (إنه بلغنا أن هذا الرجل أخذ أحمد ابن حنبل فضربه على أن يقول القرآن مخلوق، فأتق الله ولا تجبه، فوالله لأن يأتينا نعيك أحب إلينا أن يأتينا أنك أجبت)، ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه. فأي أثر ستبقيه هذه الكلمات في نفس عاصم ابن علي؟ إن هذه الكلمات لم تأتي من فراغ، بل من تربية جادة على الهمة العالية والغاية المنشودة.

فأين نحن من ذلك مع أزواجنا وأولادنا وبناتنا؟ إن همة بعضهم لا تتعدى شهوات الدنيا ولذاتها، فأي تربية؟ أي تربية هذه التي يعيشها المسلمون مع أولادهم وبناتهم وأنفسهم؟ والله المستعان.

خاتمة: أخي المسلم: كن شيئاً.

إن تلك المرأة السوداء استطاعت أن تكسب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم واستطاعت أن تجعل التاريخ يسجل اسمها، اسأل نفسك لماذا حصلت على هذا وكيف؟ لأجل أنها عملت للإسلام عملاً هو قدرتها وهو وسعها، وهو عمل في ميزاننا اليوم عمل حقير، إنها كانت تقم المسجد. ما أحقر هذا العمل في ميزاننا اليوم ولكن ما أرفعه عند الله يوم القيامة يوم أن كان هو وسعها وهو قدرتها، فأين أنت أيها المسلم؟
أخي الكريم: سجل أسمك في التاريخ، ليكن قلبك كبيرا يتسع لهموم الآخرين، ليكن همك حارا لإصلاح الجميع، أحسن النية وأجعلها سباقة فإنك تؤجر عليها، ولو لم يتيسر لك العمل.
فرق كبير بين قولك "رب اجعلني من الصالحين" وقولك "اللهم اجعلني من الصالحين المصلِحين".
فرق كبير بين قولك "اللهم انفعني" وقولك "اللهم انفعني وانفع بي " .
وإذا كانت النفوس كبارا ....تعبت في مرادها الأجسام
ولكل جسم في النحول بلية....وبلاء جسمي من تفاوت همتي
متى يستيقظ الأخيار إن لم يستيقظوا الآن؟ متى يتحرك الصالحون إن لم يتحركوا الآن؟ متى يستيقظ المسلمون إن لم يستيقظوا الآن؟ أليس في قلوبنا غيرة؟ أليس فينا حياة؟ متى نشعر بالتحدي وأعداء الله عز وجل يشمتون بهذه العقيدة ليل نهار؟ جعلوا الباطل حقا، والحق باطل، وجعلوا الوضيع شريفا والشريف وضيعا،

انتهى، ولله الحمد والمنة